

الفتنازيا تراث مشترك على الشريط الحدودي (الجزائر تونس/ تبسة الكاف) مقاربة أنثروبولوجية

The shared fantasy heritage on the brodre strip (Algeria- Tunisia/ Tébesa
Elkaf) Anthropological approach

نسيمة حميدة*،  المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،

hamidanassima@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/11/16

تاريخ الإرسال: 2025/09/29

ملخص:

يهدف من خلال هذه الورقة البحثية لاستعراض الفتنازيا كتراث مشترك على الشريط الحدودي تونس الجزائر من خلال نتائج تحقيق ميداني أجريناه على الشريط الحدودي الشرقي لمنطقة تبسة الكاف المحاذية لها في تونس، تساءلنا ضمن إشكالية هذه الدراسة هل فعلا الفتنازيا تراث مشترك بين المنطقتين المذكورتين، اعتمدنا المقاربة الأنثروبولوجية، توصلنا لنتائج أبرزها طبيعة حقل الفتنازيا الفسيفسائي الذي تتجاذبه عدة مجالات تراثية أبرزها المخيال الشعبي والتراث اللامادي من جهة والطب الشعبي التقليدي الخاص بالحيوانات من جهة أخرى، إلى جانب الصناعات والفنون الحرفية التقليدية المتعلقة بمستلزمات الفتنازيا، كما يعبر عن حقل تاريخي هوياتي مشبع بخصوصيات المجتمع وملامحه التاريخية هذا فضلا عن كونه حقلا جنوسيا تمارس فيه الفروسية التقليدية على أساس النوع.

إن الفتنازيا تراث مشترك يضم نقاط التقاء واختلاف على مستوى نوع لباس الفروسية بالنسبة للفارس والخيول، أنواع الألعاب، وجنس الفارس.

الكلمات المفتاحية: الفتنازيا، التراث المشترك، السمات الثقافية، الانتشار الثقافي، الثقاف، المتأقفة.

* المؤلف المرسل  (OORCID ID)

Abstract:

Through this research paper, we aim to examine *fantasia* as a shared heritage along the Tunisian-Algerian border, based on the findings of a field investigation we conducted in the eastern border area between Tébessa (Algeria) and the neighboring region of El Kef (Tunisia). The central question guiding this study is whether *fantasia* can truly be considered a common cultural heritage between these two regions. Adopting an anthropological approach, we reached several key findings. Chief among them is the mosaic nature of the *fantasia* field, which intersects with multiple heritage domains — notably popular imagination and intangible cultural heritage on one hand, and traditional folk medicine related to animals on the other. In addition, *fantasia* encompasses traditional crafts and artistic productions linked to its accessories and equipment. It also represents a historical and identity-bearing domain, deeply infused with the specific characteristics and historical features of local communities. Moreover, *fantasia* is a gendered field in which traditional horsemanship is practiced according to gender distinctions.

Ultimately, *fantasia* emerges as a shared heritage that reflects both commonalities and differences between the two regions particularly in the types of equestrian clothing worn by riders and horses, the forms of games performed, and the gender of the participants.

Keywords: *Fantasia*, shared heritage, cultural traits, cultural diffusion, acculturation, intercultural exchange.

مقدمة:

تضمنت دراستنا استعراضاً للفتنازيا كتراث مشترك على الشريط الحدودي الجزائري التونسي من خلال نتائج عمل ميداني قدمناه في إطار مشروع بحث معتمد بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهان بدءاً من شهر جانفي 2024 موسوم بـ: "التراث الثقافي والاجتماعي المشترك في المناطق الحدودية للجزائر وتونس"، اشتغلنا ضمن اشكالية هذه الدراسة عن الوجود الفعلي لتراث فتنازي بين منطقة تبسة بالشرق الجزائري ومنطقة الكاف بالغرب التونسي، وهل هو تراث مشترك أم لا، ضم مجتمع البحث منطقة تبسة في الشرق الجزائري والكاف المحاذية لها على الحدود الغربية التونسية بالاعتماد على المقاربة الأنثروبولوجية، بأدواتها المنهجية التي استدعتها طبيعة الموضوع، تمت المقابلات مع ثلاث فئات ذات العلاقة بالفتنازيا من ممثلي المؤسسات الثقافية ذات العلاقة بالفتنازيا والفرسان وممثلي جمعيات الفتنازيا إلى جانب مقابلات الكترونية مع مجموعة

من الفرسان والفارسات ورؤساء جمعيات الفنتازيا من منطقة الكاف بتونس، وقد توصلنا لمجموعة من النتائج نذكر منها: حقل الفنتازيا حقل فسيقي متنوع تتجاذبه مجموعة مجالات تراثية أبرزها المخيال الشعبي والتراث اللامادي من جهة والطب الشعبي التقليدي الخاص بالحيوانات، إلى جانب الصناعات والفنون الحرفية التقليدية المتعلقة بمستلزمات الفنتازيا للباس الفارس والخيل، كما يعبر عن حقل تاريخي هوياتي مشبع بخصوصيات المجتمع وسيروراته التاريخية، هذا فضلا عن كونه مجالا للرياضة الجسدية والنفسية، وحقل هوياتي جنوسي تمارس فيه الفروسية التقليدية على أساس النوع.

خلصنا من خلال هذه النتائج إلى أن الفنتازيا تراث مشترك وتوجد نقاط التقاء كثيرة كما توجد نقاط اختلاف على مستوى نوع لباس الفروسية بالنسبة للفارس والخيل، أنواع الألعاب، وجنس الفارس.

أولا: الإطار المنهجي للدراسة

أ- البناء المنهجي

1- إشكالية الدراسة:

اشتغلنا على موضوع الموروث الفنتازي المشترك في المناطق الحدودية للجزائر وتونس انطلاقا من سبب موضوعي يتلخص في ضرورة البحث في ممارسة الفنتازيا خاصة وأنها شهدت عودة قوية لمجتمع البحث من بضع سنوات، مما أكسبها أهمية بالغة ثقافيا وتنظيميا خاصة بعد إعطائها في الجزائر وجودا رسميا في إطار تنظيمات وزارة الشباب والرياضة وإعطائها مكانة ضمن الرياضات الشبابية التي تنتمي لحقل الهوية، لذلك نبحت حول هذا التراث إذا ما كان مشتركا أم لا مع منطقة الكاف الحدودية، أو يتضمن ما هو مشترك وما هو غير مشترك، وباعتبار: "أن مهمة الأنثروبولوجي هي إدراك وفهم المنطق الاجتماعي الخفي وإبراز مرتكزاته" (منديب، 2010، صفحة 10)، فإن أهمية الموضوع قائمة على بيان قيمة تراث الفنتازيا في المنطقة الحدودية محل الدراسة والتعريف به ورفع الغموض عنه بتوضيح نقاط الاشتراك والتداخل والاختلاف.

اعتمدنا المقاربة الأنثروبولوجية وفق المنهج الأنثروبولوجي بمراحله الثلاث، الاثنوغرافيا، الاثنولوجيا والأنثروبولوجيا (بونو و ايزار، 2006، صفحة 24)، وفق المدرسة الانتشارية، التي تبنت المنهج التاريخي الجغرافي في تفسير تقارب الثقافات (فهييم، 1986، صفحة 159.158)، نقارب موضوعنا وفق المدرسة الأمريكية، التي تعتبر أن النظم الاجتماعية غالبا ما تُستَعَارُ أو تنتقل من مكان إلى آخر، فنشابه بعض النظم الاجتماعية والعادات في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة نتيجة انتشار بعض المكونات والخصائص الثقافية أو كلها من مصادرها الأصلية إلى

المجتمعات الأخرى سواء بالرحلات التجارية، الكشف أو الحروب (الشماس، 2004، صفحة 63)، يضم هذا الاتجاه مجموعة قنوات لتمرير السمات الثقافية في المناطق الحدودية تتنوع بين ما هو طوعي وما هو إجباري مثل: التقسيم القبلي بين منطقتين حدوديتين تضماني نفس القبيلة، جزء منها في منطقة تبسة والجزء الثاني في المناطق المحاذية لها بالجمهورية التونسية- "الكاف" قوافل الحج ومحطات قوافل الحجج الواقعة على الشريط الحدودي، أيضا الزواج الخارجي، الهجرة الجبرية أو الطوعية، الاستعمار، الأوبئة، المجاعات، الجفاف، الارتحال بحثا عن الكأ والماء، الحروب، والجدير بالذكر أننا لا نهدف لإثبات هذه العناصر أو البحث عن أسباب وجود تراث مشترك أو الكيفية التي حدث بها انتشار سمات ثقافية على الجانبين بقدر ما نبحت على مدى وجود فعلي لتراث فتنازي مشترك في مجتمع البحث.

إن الهدف العام من دراستنا هو جمع كل ما يتعلق بالتراث الفتنازي في مجتمع البحث ودراسته بالتحليل والتفسير الأنثروبولوجيين للتأكد من وجود ما هو مشترك أو غير مشترك أو حتى متداخل أو مختلف، من هنا طرحنا السؤال المركزي لإشكالية دراستنا كما يلي:

هل تشهد المناطق الحدودية بين كل من تبسة وما جاورها في الجمهورية التونسية-الكاف- وجودا فعلياً لتراث فتنازي مشترك ؟

وقد ألحقنا السؤال المركزي لإشكاليتنا بتساؤلين فرعيين مكملين له انطلاقاً مما تتطلبه طبيعة موضوع دراستنا حيث تساءلنا كما يلي:

1- ماهي أبرز مظهرات التراث الفتنازي على الشريط الحدودي لمنطقة تبسة والمناطق

الحدودية التونسية المحاذية لها؟

2- ماهي أبرز عناصر التراث الفتنازي المشترك وغير المشترك في مجتمع البحث؟

2- الدراسات السابقة:

الدراسات العلمية التي عالجت موضوع الفتنازي في مجتمع البحث، تكاد تنعدم والموجود منها غير متوفر. اعتمدنا الدراسة الموسومة ب: الأوراس تاريخ وثقافة لمحمد الصالح لونيبي (لونيبي، 2007)، تطرق فيها لمدى تمسك المجتمع الجزائري بالفروسية والحضور التام للحصان والفروسية في كل مجالات حياته، كما ضمنه بوصف بعض ألعاب الفروسية ووصف الخيل خلال ممارسة لعب الفتنازي وذكر أنواع اللعب كلعب القلاعي، المشوار واللعب الحربي وذكر قطع لباس الفارس والفرس وهذا ما يطابق تقريبا ما توصلنا له في دراستنا. أما بياركاستال فقد ضَمَّنَ دراسته الموسومة ب: حوز تبسة، دراسة وصفية جغرافية تاريخية لإقليم تبسة وأعراسه معلومات متعلقة بالتقسيم القبلي في منطقة تبسة وأهم عروشها، مركزا على أهم الحرف التقليدية بما فيها ما يتعلق بحرف لوازم الفتنازي، إلى جانب معلومات كثيفة حول الإعتداءات الحاصلة بين أعراس في تونس وتبسة على

الشريط الحدودي ودوره في انتشار العناصر الثقافية المرتبطة بالفنتازيا، خاصة وأن الخيل كانت وسيلة التنقل والهجوم خلال المغازي والاغارات (كاستال، 2020)، كما أدرج أساطير متعلقة بالقبائل الكبرى في تبسة من بينها أسطورة حول قبيلة ولادي يحي بن طالب وهو مجتمع البحث في دراستنا بمنطقتي عين الزرقا والكويف بتبسة، التي اشتغلنا عليها، كما أدرج رسما لحدود تبسة والحوز ورسم حدود القبائل وهذا له علاقة بدراستنا، إلى جانب مجلة Cahier des arts et Traditions (Cahier des arts et traditions populaires, 1987) التي تصدر عن مركز الفنون والتقاليد الشعبية التونسي تضمن العدد الخامس مجموعة مقالات تضم دراسات ميدانية متعلقة بالتراث الشعبي اللامادي للمجتمع التونسي من بينها العادات، التقاليد والطب التقليدي، كلها تشكل مدونة قائمة بذاتها لمادة ميدانية عن المجتمع التونسي والتي أفادتنا خلال المقارنة الإثنولوجية خاصة بالنسبة لموضوع الفنتازيا.

3- الدراسة الميدانية:

باعتبار النزول للميدان أهم مرحلة في البحث الأنثروبولوجي ونجاحها مرتبط بإذن الدخول للميدان (وجوبو، 2014، صفحة 249) فقد جمعنا المعطيات من المبحوثين خلال العمل الميداني الإثنوغرافي (بونو و ايزار، 2006، صفحة 25) حيث أجرينا مقابلات واقعية مباشرة مع المبحوثين من مسيري المؤسسات الثقافية ذات العلاقة بالفنتازيا بتبسة، الفرسان، رؤساء الجمعيات ومربي الخيول.

4-فضاءات الدراسة:

بالنسبة للفضاء الزمني أجرينا التحقيق الميداني خلال السداسي الثاني من سنة 2024 من خلال مقابلات مع المبحوثين في منطقة تبسة إلى جانب بعض المقابلات الإلكترونية مع مبحوثين من منطقة الكاف بتونس. أما الفضاء المكاني فقد اشتغلنا على المناطق الحدودية بولاية تبسة والمتواجدة مباشرة على الشريط الحدودي بدءا من منطقة عين الزرقا تحديدا بمنطقة تسمى دوار الهرايسية من خلال حضورنا لزردة محمد لزرق بتاريخ 17 أكتوبر 2024 (أنظر الصورة رقم 01)، إلى جانب بلدية الكويف بالمعبر الحدودي رأس العيون الذي يبعد عن تونس ب 7 كلم فقط، وتقابله المناطق الحدودية التونسية بمعتمدية الكاف أيضا.

أما الفضاء البشري للدراسة فقد ضم فئات من المبحوثين، أولها ممثلي المؤسسات الثقافية ذات العلاقة بالفنتازيا على مستوى الرابطة الولائية لنشاطات الفروسية بمديرية الشباب والرياضة بولاية تبسة- مديرية الثقافة – مصلحة التراث اللامادي بمديرية الثقافة – مصلحة الجمعيات الثقافية بمديرية الثقافة، والفرسان ومربي الخيول.



الصورة رقم 01: الباحثة مع السيد عثمان كميقي، السيد محمود قحايرية والفرسان زردة
محمد لزرق بدوار الهرايسية عين الزرقاء

5- المنهج الأنثروبولوجي:

استدعت طبيعة دراستنا اعتماد المنهج الأنثروبولوجي بمراحله الثلاث، بدءا بالانثوغرافيا أين اشتغلنا على التحقيق الميداني لجمع المواد والمعطيات لحللتها وقارناها خلال المرحلة الثانية وهي الإثنولوجيا (بونت و ايزار، 2006، صفحة 24)، فقد أجرينا تحقيق ميداني إثنوغرافي من خلال الحضور لمناسبات متعلقة بالفتنازيا في منطقة تبسة كان أولها الحضور لزردة محمد لزرق بمنطقة حدودية تسمى دوار الهرايسية ببلدية عين الزرقا بتبسة والمحاذية لمنطقة الكاف بتونس. إلى جانب الحضور لمهرجان الفتنازيا للشرق الجزائري في طبيعته التاسعة بمناسبة الذكرى السبعينية لاندلاع الثورة ببلدية الحمامات بتبسة كما أجرينا مقابلات إثنوغرافية بالمعبر الحدودي رأس العيون ببلدية الكويف الحدودية مع الفرسان ومربي الخيول أبرزها كان مع عائلة السيد "جعفر دلول"، وباقي المقابلات مع مسيري المؤسسات الثقافية ذات الصلة بالفتنازيا.

6- الأدوات المنهجية للدراسة:

6-1- **الملاحظة:** جاءت ملاحظتنا لحقل الفتنازيا بمنطقة تبسة سابقة عن هذه الدراسة من خلال التركيز على العودة القوية لهذه الممارسة الهويةتية خاصة قبل بضع سنوات، ومدى اهتمام العائلات المتوارثة لهذا التراث الثري في المنطقة بالفتنازيا والرجوع لممارسته بقوة وإعادة إحيائه في كل المناسبات، حيث يرافق الفرسان بعروض الفتنازيا ولعب البارود مواكب العرائس، وحفلات الختان وطقوس الزردة والمهرجانات وإحياء المناسبات الوطنية ومرافقة الوفود الزائرة لولاية تبسة.

2-6- الملاحظة بالمشاركة: استخدمنا الملاحظة بالمشاركة في الميدان أين شاركنا فعاليات زردة محمد لزرق بدوار الهرايسية على الشريط الحدودي، ودونا ملاحظات ومعطيات ميدانية حول الزردة، كسفن الفرسان، انتماءهم القبلي، لباس الفنتازيا، طريقة لعب الفنتازيا، أنواع لعب الفنتازيا والسلاح المستخدم أثناء الاحتفال، إلى جانب المقابلات التي أجريناها مع بعض الفرسان المشاركين والقائم على الزردة وبعض ممثلي الهيئات الثقافية المسؤولة على الفنتازيا في ولاية تبسة.

3-6- المقابلة: أجرينا سبع مقابلات إثنوغرافية مكثفة (هس بيرو ليفي، 2001، صفحة 225)، توزعت بين مسيري المؤسسات الثقافية والفرسان ومسيري جمعيات الفنتازيا في منطقة تبسة تبعا لدليل المقابلة كما أننا أجرينا خمس مقابلات إلكترونية عبر تقنية التواصل الاجتماعي الفيس بوك مع فرسان وفارسات من المنطقة الحدودية التونسية المحاذية لمنطقة تبسة، بمنطقة الكاف.

4-6- المقابلة الجماعية:

هي "جماعة التعبير" "focus groupe" يتم إجراؤها مع مجموعة مبحوثين يشتركون في موضوع معين (هس بيرو ليفي، 2001، صفحة 342)، الهدف منها هو الكشف عن الموضوع محل البحث الذي قد يتم دائما إخفاؤه قصدا، أو حتى عن غير قصد (هس بيرو ليفي، 2001، صفحة 346). اعتمدناها خلال اللقاءات مع الفرسان كانت أول مقابلة جماعية مع الفارس "عثمان كمي" القائم على زردة محمد بن لزرق في دوار الهرايسية بالمنطقة الحدودية عين الزرقا بتاريخ 17 أكتوبر 2024، رفقة مسيري المؤسسات الثقافية ذات الصلة بالفنتازيا إلى جانب الفارس "حمادية حسين" في نفس المناسبة وبنفس التاريخ. هذا فضلا عن المقابلة الجماعية التي أجريناها ببيت السيد جعفر محمد دلول بدوار 16 عند المعبر الحدودي رأس العيون ببلدية الكويف ولاية تبسة المحاذية لمعتمدية الكاف يوم 03 نوفمبر 2024 وقد ضمت الفارس جعفر دلول، السيد محمود قحايبة و الفارس أنور دلول، هذه المقابلات كان الهدف منها هو جمع المعطيات والتفاصيل أكثر.

ب- البناء المفاهيمي للدراسة:

تبرز ضمن هذه الدراسة مفاهيم جوهرية تتكامل فيما بينها لتعبر عن التراث المشترك في كليته وجزيئاته:

1- مفهوم التراث: حسب "هيرسكوفيتس" Hertskovits هو مرادف للثقافة بحيث يعبر عن: "شكل ثقافي يُتَنَاقَل اجتماعيا ويصمد عبر الزمن" أما التراث الشعبي فهو عبارة عن: "المعتقدات والعادات الاجتماعية الشائعة وكذلك الرواية الشعبية ويضم مواضيع الدراسة في الفولكلور (هولكترانس، 1972، صفحة 89.87).

2- العموميات والخصوصيات الثقافية: تعبر العموميات الثقافية عن: "اشتراك جميع أفراد المجتمع أو الغالبية منه في مجموعة من العناصر الثقافية" (الخطيب، صفحة 25)، كما تضم المجتمعات

الأكثر تنوعا ثقافات فرعية وإثنيات متنوعة وتقسيمات قبلية تعبر كل منها على وجود تنوعات ثقافية بين هذه المجتمعات مما يعني تميز كل جماعة ثقافية بعناصرها الثقافية المختلفة نسبيا أو كليا عن باقي الجماعات الثقافية الأخرى، وهذا ما يعبر عن الخصوصيات الثقافية (الرشدان، 1999، صفحة 227).

3- الثقاف: يشير الثقاف إلى أوضاع التبدل بسيطرة الخصوصيات الثقافية الالزامية أو بوقوعها تحت تأثير خارجي على مكوناتها (بونت و ايزار، 2006، صفحة 102).

4- الرواسب الثقافية: تعبر عن عناصر ثقافية تترسب من مواقف ثقافية قديمة كانت أكثر تكيفا معها، "فالراسب الثقافي عنصر ثقافي تغيرت وظيفته الأصلية بمرور الزمن وأصبح استعماله مجرداً (هولكرانس، 1972، صفحة 214)

5- المنطقة الثقافية: يرى ساير Saper أن المناطق الثقافية هي : "مجموعات من القبائل المتجاورة جغرافيا والتي تتميز بقدر من العناصر الثقافية المشتركة يجعلها تتميز عن مجموعات أخرى (هولكرانس، 1972، صفحة 329).

5- تراث المنطقة المشترك: يرى ويلي Willy أنه: "استمرارية الثقافة داخل حدود منطقة معينة"، ويتسم تراث المنطقة المشترك بتميزه عن المناطق الأخرى لتوفره على روابط بين الثقافات الفرعية أو الأقاليم التي قد تشكل دليلا على تعرض هذا التراث لنفس المؤثرات العامة أو التيارات الثقافية كما يجب أن يكون التغير الثقافي الذي يحدث داخل الحدود الزمانية وداخل المنطقة المحددة متماثلا، وقد يكون متطابقا في بعض الأحيان (هولكرانس، 1972، صفحة 97).

ثانيا: الفانتازيا بين الماهية وتمثلات مجتمع البحث:

1- المفهوم والتاريخ:

تمثل الفانتازيا ظاهرة معقدة نتيجة تضمها لتقاطع عدة مسارات، خاصة أنها مشبعة بأبعاد ثقافية مركبة ذات دلالات رمزية وأبعاد تاريخية، اجتماعية، اقتصادية، حربية وحتى ترفيهية. فهي fantasia كمفهوم تعني لعب الخيل ولعب البارود (بوظقوفة، 2016، 2017، صفحة 08)، ترجع هذه الكلمة للأصل الإغريقي من اللفظ اللاتيني Phantasia/fantasia، حيث يعني كلاهما فعل حب الظهور، انتقل هذا المفهوم للغات الأوروبية بمعنى محاولة إظهار الشيء باستخدام الخيال، أخذ معنى العجرفة في إسبانيا في حين اعتمده الإيطاليون بمعنى التباهي، وقد تمت استعارته من طرف سكان شمال إفريقيا للتعبير عن الفخروالمباهاة عن طريق الفروسية (بوظقوفة، 2016، 2017، صفحة 42)، وهو المعنى الأقرب لموضوع دراستنا خاصة من خلال العمل الميداني الذي يطابق معناه كاستعراض للفروسية، فالفانتازيا ممارسات تراثية ثقافية تطبع الثقافات الفرعية في المجتمع الجزائري، كل حسب خصوصياته خاصة ما تعلق منها بالجانب الطقوسي الاحتفالي والاستعراض،

فضلا عما تحمله من معاني في المخيال الشعبي والاجتماعي للمجتمع، حيث تعبر في كليتها عن الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع بما تضمه من رمزيات ودلالات ومعاني خفية، كما يُعْتَبَر لعب الفنتازيا عن تلك المحاكاة الحربية التي انبثقت من الممارسات العسكرية الحربية، خاصة تلك التي اعتمدها النوميديون والعرب في حروبهم وغاراتهم والتي تبني على عنصر المباغته التي يلحقها انسحاب سريع وهذا معروف في الحروب بالكر والفر (بوظقوفة، 2016، 2017، صفحة 44). يعتمد الفرسان إلى إعادة صور الحرب إلى الحياة بعد قرون من الزمن، من خلال امتطاء الخيول بسرعة قصوى قبل الوصول إلى خط النهاية بأسلوب مثير فالفراس الذي يمتطي حصانه بأقصى سرعة ويلوح ببندقيته، ويطلق النار ويرفع سكينه في الوقت ذاته، يبرز أهمية العلاقة بين الرجال وخيولهم والأرض والحرب".

إن الفروسية التقليدية ممارسة لصيقة بالمجتمع الجزائري عامة ومنطقة تبسة خاصة، تظهر في الحياة اليومية بشكل دائم خاصة قديما، حيث كان المجتمع يعتمد اعتمادا كليا على الحصان في حربه وسلمه وثوراته وفلاحته وأسفاره، فعندما كان المجتمع فلاحيا بصفة شبه مطلقة، مثَّل الحصان عصب الحياة في الركوب، التنقل، الترحال، التجارة، الصيد، الحرب وحتى الترفيه والسباق والاستعراض والفرجة، أما الفارس الذي يجيد فن (الفنتازيا) فيكتسب في المخيال الشعبي حظوة خاصة بين عشيرته، إن حذاقته تعني أنه تلقى منذ الصغر تدريبا مكثفا على تقنيات ركوب الخيل، وإطلاق البارود، وحين يصل إلى درجة عالية من التمكن والألفة بينه وبين فرسه، يسمح له باستعراض مهاراته حيث يقول الفارس عثمان الكميقي: "الفارس الحقيقي الذي ورث أبا عن جد الفنتازيا ويعرف جيدا قيمتها وقيمة الخيل لا يمكن أن يكون إلا رجلا شجاعا حكيما صاحب قرار، قادر على استعراض فنونه الحربية بالبندقية والسكين واللعب على صهوة حصانه، فتكون له هبة ويكسب احترامنا" (كميقي ع، 2024).

مجتمع البحث يرى أن الفنتازيا هي الفروسية التقليدية التي تحاكي الهجمات العسكرية في عروضها، فالسيد العربي كلاع يفصل بين الفروسية والفنتازيا قائلا: "ما نراه اليوم في زردة محمد لزرق بدوار الهرايسية هو الفروسية التقليدية أو الفنتازيا، أما الفروسية المعاصرة فهي المتعلقة بالسباق والقفز على الحواجز التابعة لنوادي الفروسية الرسمية مثل الموجودة بالبلدية وتبارت" (كلاع، 2024). وتكمن رمزية الفنتازيا في تجسيدها ارتباط الرجل العربي بالأحصنة والفروسية، والتي تمثل رمزاً تاريخياً وتراثياً تتوارثه الأجيال. ويتم في مشاهد الفانتازيا استخدام بعض ألعاب الخيل أو البارود من خلال تجسيد أدوار تاريخية، لبعض الهجمات التي يشنها فرسان وهم على صهوات خيولهم والجدير بالذكر أن "الفنتازيا" تتمتع بشعبية واسعة لدى الجمهور، وتشكل عنصراً أساسياً في المهرجانات الثقافية والفنية، يقول محمود قحايبة: "بالعودة للشرق فإن الفارس يتخذ من الكر والفَرّ طريقة له نظرا للطبيعة الوعرة وكثرة التضاريس والجبال فالفنتازيا ماهي إلا محاكاة للمناورة

العسكرية الحربية" (قحايرية م، 2024)، هنا نستذكر ما أقره "ستيفان قزال" Stephane Gzell حول مجتمعات شمال إفريقيا باعتبارها تتمتع بالقوة والنفوذ خاصة في فترات الحروب، كما أشار إلى مكانة الخيل عند النوميديين واستخدامهم لها في الصيد والتنقل والحروب . (Gzell, 1927, p. 80) كما أن الفنتازيا في منطقة تبسة كاملة و المناطق الحدودية حسب "بريكة صالح"، معروفة من فترات تاريخية قديمة، وظاهرة راسخة في جل مظاهر الحياة في تبسة، خاصة في السابق، أين كانت حاضرة في كل الممارسات والمناسبات فالمريض يتم نقله للعلاج فوق الفرس، وفي الزواج والختان الحصان هو وسيلة النقل والتباهي والفرحة والفرجة والتشريف، وكبير القوم يمتاز بامتلاكه الخيل إلى جانب البندقية " وحتى تاريخيا كانت هي أساس الثورات والمقاومات الشعبية (بريكة، المقابلة رقم6 ، 2024).

يقول "محمود قحايرية": "العرب هم أول من ركب الخيل، فقد كانت الخيل قبل سيدنا اسماعيل عليه السلام وحشا، فأخذها ورؤضها فأصبحت تربية الخيول وركوبها ثقافة عربية أصيلة متوارثة عبر أجيال متواصلة حتى الآن وموجودة في كل البلدان العربية، لكن في المغرب العربي أخذت طابع خاص كالفنتازيا واللعب على الخيل والبارود، وتعتبر رمزا للمقاومة والرجولة، الشهامة، الشجاعة والكرم" من بين الولايات الشهيرة بتربية الخيول في الشرق الجزائري: تبسة، سطيف، سوق اهراس، باتنة، برج بوعريج، خنشلة، أم البواقي، المسيلة" (قحايرية م، 2024)

2- تحيين مجتمع البحث للفنتازيا كممارسة حربية في شكل احتفالي:

كما ذكرنا سابقا ترتبط ممارسة الفانتازيا بالمناسبات الاحتفالية والتي تكون خلالها ألعاب البارود في أقوى لحظاتها، تقام في مناسبات تخليد ذكرى الأولياء المعروفة بالمواسم، إضافة إلى بعض الأعياد الدينية، حفلات الزواج وعند طقوس مرافقة موكب العروس، والحفلات التكريمية التي تحتفي بالحجاج. حاليا اكتست الفانتازيا بعدا استعراضيا فلكلوريا يستحضر تقليد الأسلاف الذي كانوا يبرزون مواهبهم ومبارزاتهم القتالية أيام الحرب، ومهارات القنص والصيد أيام السلم ضمن عروض الفروسية، أما الجانب الفرجوي فلا ينحسر فقط في المضمار، بل يمتد إلى محيط المتفرجين، الذي تؤثته مجموعة من الفنون الغنائية والشفهية، والتي تتغنى بموضوعات البطولات التاريخية وبشجاعة وجمالية وأناقة الفرسان والجياد.

لقد تجسد هذا الجانب الاحتفالي فعليا خلال زردة محمد لزرق بدوار الهرايسية التي أقامها السيد عثمان كميقي بتاريخ 17 و 18 أكتوبر 2024 وحضرها عدد كبير من الفرسان مختلط بين الفرسان القدامى في المنطقة والفرسان من فئة الشباب، حيث يقول: "أغلب الفرسان في ولاية تبسة توارثوا الفنتازيا أبا عن جد، وهذه المنطقة معروفة بالفروسية عبر التاريخ وأهلها مارسوها منذ

القدم، والفتازيا هي ممارسة فروسية تقليدية بالبنديقية والسكين يلعبها الفرسان في الميدان بمختلف أنواع اللعب وبوجود جمهور عاشق للخيل وللعاب البارود " (كميتي، المقابلة رقم 3، 2024)

3- زي الفتازيا الخاص بالفارس والخيل في مجتمع البحث:

استأنس الانسان منذ القديم الحصان باعتباره وسيلة يستعمله للركوب والحرب والتنقل، كما استعمله أيضا للرفاهية والأجواء الاحتفالية والأفراح والسباقات لذلك كانت الخيول المزودة بالسروج والكماليات الفاخرة منذ القديم ولا تزال عنوان فخر الملوك والأعيان وسطوة وعلامة جاه ونفوذ، وهذا الجانب أفرز حرف خاصة بكل ما يتعلق بالفروسية والفارس والفرس، لها طقوسها وأدبياتها وتجارتها واقتصادها (لونيسبي، 2007، صفحة 99).

3-1 لباس الفارس ومستلزمات الخيل في منطقة تبسة:

يقول محمد الصالح لونيسبي في دراسته عن تاريخ وثقافة الأوراس، أن لباس الفارس يتكون من: القاط تسميته قد تعود للأصل الفارسي نظرا للزخارف والرسوم التي تزين البذلة مما يوحي أنها انتقلت من المشرق إلى المغرب ويُطْلَق اسم "القاط" على كامل لباس الفارس من رأسه إلى قدميه (لونيسبي، 2007، صفحة 101.100) وأجزاء القاط هي: القَنْوَر وهو عمامة ضخمة تلتصق مع الرأس مباشرة، و البريمة عبارة عن خيوط منسوجة من الصوف الأسود أو البني وتزين بخيوط صوفية بيضاء إلى جانب اللحفة التي تلبس تحت البريمة تضم الشاشية تغطي جزءا من الرقبة، والذقن والأذنين (لونيسبي، 2007، صفحة 101.100)، ويبقى لكل منطقة من مناطق الوطن قَنْوَر خاص بها. أما القميص فهو أول ما يلبسه الفارس ويلتصق بالجسد مباشرة، يصنع من قماش الكتان أو من قماش لين آخر وهو مفتوح من الرقبة إلى ما بين الصدر والبطن يسمى القمجة التي تلبس فوقها الجلليكة أو الصداروتسمى أيضا بلغة الفرسان "البدعية" وتُصنع من قماش القبردين Algabardine، وغيره من الأقمشة المتينة وهي مُطَرَّزة إما بالحريز أو بخيوط الفضة أو الذهب، أزراها مصنوعة من الحريز المطعم بالفضة أو الذهب، الهدف من ارتدائها هو ضم جسم الفارس فوق القمجة لإعطائه الرشاقة والوسامة لإبراز تقاسيم جسمه ثم تلبس فوق الجلليكة القليلة وقد سميت قليلة لأنها قصيرة لا يتعدى طولها الخاصرتين وقماشها من نفس قماش البدعية وهي مزخرفة بالحريز أو بخيوط فضية أو ذهبية ولها أزرار على مستوى الساعدين يكون لونها أصفر وأحيانا أخرى أبيض (لونيسبي، 2007، صفحة 103.101).

بالرجوع للباس الفارس في لمجتمع البحث يقول الفارس عثمان كميتي: "هو تراث الأجداد، لانزال نحافظ عليه، نلبس الحولي الذي يتبدل لأسفل الرجلين، أيضا الجلليكة، السروال، المست الصباط، البريمة" (كميتي، المقابلة رقم 3، 2024) ذكر أغلب المبحوثين لباس الفارس كتسميات فقط فالفارس حسين حمايدية، عدّد لباس الفارس حسب أسماء كل قطعة دون التعمق في دور هذه

القطع أو معاني التطريزات عليها وألوانها يقول: "نبدأ بالكبّوس يوضع فوق الرأس مع اللثام والبرمة ثم الفيسطة، القاط، السروال، المست، السباط العربي، حزام الكرطوش، والحولي" (حمادية، 2024)، أما "محمود قحايرية" فيعتبره لباساً عسكرياً يأخذ في الغالب معنى تهيب العدو" وقد ذكر نفس القطع مركزاً على وصف سروال الفرسان (قحايرية م، 2024)، الذي يصل إلى منتصف الساق ومفتوح على الكعبيين من غير شد، يخاط فضفاضاً بحيث يعطي للفارس أكبر قدر من الراحة عند قيامه باستعراضاته (نصر، 1998، صفحة 114)، يذكر الفارس "رضا رحمانية" مستلزمات أخرى تابعة للباس الفارس حيث يقول: "يكون لباس الفارس من قماش القطيفة السوداء ومطرز بالفتلة، وكل فارس يملك القنور وهناك من الفرسان من يضع لحفة اللثام، كما يجب على الفارس أن يملك محزمة الكرطوش، ويلبس القاط وأسفله الجليكة، ويجب أن تكون له بندقيته الخاصة وسيفه وهي أدوات اللعب، أما الحولي فله رمزية هامة فعندما يلبسه الفارس يعني أنه يحمل كفه لأنه معرض للموت (رحمانية، 2024)، والآن يلبسه البعض من الفرسان والبعض الآخر يشاء منه (قحايرية م، 2024)، "كما يلبس الفارس المست وهو الخف مع الحذاء العربي، يتميز المست بأنه يشد رجل الفارس في الركاب ويتميز عن باقي الأحذية وهو دون كعب سفلي ومتين" (رحمانية، 2024).

بالنسبة للخيال فتحتاج لمجموعة من المستلزمات لتسهيل ركوب الفارس وممارسة الفنتازيا، نذكر منها: الجبيرة، الأسلحة، السرج، وشوف المؤخرة وشوف المقدمة، اللسع، الركاب، ويصنع من الحديد أو من النحاس (لونيس، 2007، صفحة 104.103) بالإضافة إلى السدارة، الشليل، الدير، العذار، اللجام، الصراعات، الطرحة، الحزام، التكفال لتغطية ردي الفرس (لونيس، 2007، صفحة 105.104) كل هذه المستلزمات متطابقة تماماً مع ما ورد في مجتمع البحث.

ثالثاً: لعب الفنتازيا في مجتمع البحث:

توجد أنواع للعب الفنتازيا في منطقة تبسة أبرزها: "القلاعي، لعب الطائر، اللعب الفردي، اللعب الثنائي ويسمى أيضاً لعب القران، اللعب الحربي فمثلاً لعب المشلية وهو لعب حربي يطلق خلاله الفارس النار بالالتفات خلفه وإعادة الرجوع للأمام وإطلاق النار أمامه" (رحمانية، 2024). يتم تنظيم لعب الفنتازيا في إطار مضمار مسافته طويلة تكون في الغالب ما بين 1 كلم ونصف إلى 2 كلم، خاص باللعب وبداية المضمار تخصص للانطلاق وعلى الجانبين يكون الفضاء مخصص للمتفرجين ويكون اللعب بسكين وبندقية[†]، كما يمكن أن تتم بنفس الحركات السابقة ولكن بزيادة عدد البنادق من 2 إلى ستة وحتى سبعة ومعها السيوف ويطلق الفارس الطلق الناري ببندقيتين في

[†] وصف إثنوغرافي لمضمار لعب الفروسية الذي أقيم يوم 01 نوفمبر 2024 في إطار مهرجان الفروسية والفنتازيا للشرق الجزائري في طبعته التاسعة بمناسبة الذكرى السبعينية لاندلاع الثورة بالحمامات في ولاية تبسة.

اتجاه معاكس أي أمامه وخلفه (لونيسي، 2007، صفحة 113)، يبدأ لعب الفنتازيا بتسخين الفرس على قائمتها الخلفيتين حيث تدور عليهما دون إكمال الحلقة وتسمى هذه الحركة التقلبية ثم ينطلق في الجري ويلعب الفارس خلال ذلك بالبندقية والسكين، والفارس الماهر هو الذي يطلق الطلقات النارية خلال الجري ثم يعود لنقطة الانطلاق، يقوم بمسك السيف واللجام باليد اليمنى والبندقية باليد اليسرى محي الجمهور المتفرج وهنا ينتهي اللعب (لونيسي، 2007، صفحة 112). بالنسبة لمجتمع البحث ينضوي اللعب الفردي واللعب الثنائي ضمن اللعب الحربي وهذا يسود كل الشرق الجزائري تقريبا (أنظر الصورة رقم 2)، حيث يتخذ الفرسان من الكرّ والفرّ طريقة لهم نظرا للطبيعة وكثرة التضاريس والجيال فالفنتازيا ماهي إلا محاكاة للمناورة العسكرية الحربية (رحامنية، 2024). بالنسبة لمضمار الفارس في منطقة تبسة يُقال أن الفارس يُؤزّي في الملعب، أي أنه وصل لدرجة استدراج العدو الذي أمامه. أما اللعب الثنائي فيسمى في مجتمع البحث لعب القُران (أنظر الصورة رقم 2) أي لعب الفارس وقرينه الذي غالبا ما يكون أخاه أو صديقه المقرب كما يسمى بهذه التسمية انطلاقا من تقارب الفارسين خلال الجري في المضمار لدرجة اقتران رأسهما (رحامنية، 2024) بالنسبة للعب الطير يلعب الفارس ببندقيتين كل واحدة في يد عكس اتجاه اليد الأخرى حيث يطلق الطلقات النارية خلال جري الحصان ثم يضم يديه بشكل يشبه الطائر عندما يضم جناحيه (لونيسي، 2007، صفحة 113)، هنا يقول الفارس رضا رحامنية أن هذا اللعب يجسد الفارس فيه وضعية طائر النسر وهو مجهز على فريسته (أنظر الصورة رقم 4).



الصورة رقم 02: اللعب الحربي الثنائي (لعب لقران) للفارسين الأخوين رضا رحامنية ولين رحامنية بمهرجان الفروسية والفنتازيا بالشرق الجزائري في طبعته 9 يوم 01 نوفمبر 2024



الصورة رقم 03: اللعب الحربي الفردي بأربع بندقيات وسكين للفارس رضا رحامنية بمهرجان

الفروسية والفتازيا بالشرق الجزائري في طبعته 9 يوم 01 نوفمبر 2024

كما يقدم عروض لعب القلاعي أين يقوم الفارس بنوع من برم البندقية والسيف باتقان وسرعة وتفنن (رحامنية، 2024)، لعبة المشلية أيضا هي من بين الألعاب الحربية الثنائية او الفردية، يقول الفارس ومربي الخيل "جعفر دلول": "نلعب اللعب الحربي الفردي والثنائي ونلعب المشلية حيث يجري الفارس في المضمار ويلتفت وراءه ويطلق طلقات نارية - البارود- بالبندقية وهو ثابت على ظهر الخيالي، يمكن أن يطلق طلقاته من بندقية واحدة أو بعدة بندقيات قد تصل إلى ثمانية ثم يستل سيفه مما يعني أنه فارس محنك" (دلول، 2024).



الصورة رقم 04: لعب الطير الفارس رضا رحامنية

رابعا: تحليل ومناقشة النتائج

يشكل التراث الفنتازي في منطقة تبسة حقلا مشبعا بعناصر متنوعة تنتمي للتراث اللامادي وأخرى تنتمي للتراث المادي، وانطلاقا من إشكالية دراستنا وما جمعناه من معطيات خلال التحقيق الميداني فقد توصلنا لمجموعة نتائج نذكرها:

4-1- الفنتازيا حقل خصب لتقاطع والتقاء المتخيل الشعبي، المقدس الديني والتراث اللامادي:

تأخذ الفنتازيا في منطقة تبسة بالشرق الجزائري والكاف بالغرب التونسي الحدوديتان أهمية بالغة لما تحمله الفنتازيا من معاني الصمود، الرجولة، الشجاعة، الحكمة، رقي ونبل أخلاق الفرسان، والأنفة والكرم، والذود على الأرض والعرض، وسطوة الفارس ونفوذه وعزه وعلو مكانته ورفعة شأنه في المجتمع كلها صفات يتغنى بها شعراء الملحون في مجتمع البحث ويفتخرون بها علما أن أغلب الفرسان هم صيادون وشعراء، وأغلبهم ينظم قصائد شعرية فيها ما ينضوي تحت أسلوب الفخر برجولة الفارس وخصاله الحميدة وشجاعته، مما أنتج شعرا ملحونا وأغاني شعبية وفن القول ومأثورات دينية كصيغ الدعاء بالخير في هذا الحقل.

4-2-1- الفنتازيا حقل للمقولات الشفوية الشعبية (حكم شعبية، دعاء، نصائح ...)

يقال للفارس عندما يركب فرسه أو حصانه حسب ما أشار له الفارس رضا رحامية: "ركوب العز ونزول الطاعة" وهو دعاء يبرز مكانة الخيل في المتخيل الشعبي وما تمثله بالنسبة للمجتمع باعتبارها تعكس حقل المقدس فهي رمز للتفاؤل باعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم أشار لها بأنها مباركة ومعقود في نواصيا الخير من جهة ومكانتها القيمة باعتبار الله عز وجل ذكرها في القرآن الكريم كوسيلة لنصرة الاسلام.

4-2-2- الفنتازيا حقل ثري ومنتج للأغاني الشعبية في مجتمع البحث:

توجد الكثير من الأغاني التي تمجد الفارس والفنتازيا في منطقة تبسة وتتداولها حتى الجهة الأخرى المحاذية لحدود تبسة في تونس سواء بمعتمدية الكاف أو القصرين ومناطق أخرى وهي أغاني ترجع أصولها لمنطقة تبسة ومعروفة منذ زمن بعيد نذكر منها كما أخبرنا السيد جعفر دلول والسيد صالح بريكة في المقابلات أغنية طرق الخيل "وأغنية "لسود مقروني" وأغنية "ريش ما تمشيش أراكب لزررق" ..

4-2-3- الفنتازيا حقل تتقاطع فيه الحكايات الشعبية والأساطير:

تعرف منطقة تبسة موسيقى فولكلورية تعتمد على موسيقى الناي ظهرت بناء عن حادثة وقعت قديما أحداها تشكل تقاطعا بين الحكاية الشعبية الواقعية والأسطورة، تحديدا حكاية طرق الخيل والفارس الذي اختطف عشيقته واعترضها أسد فعزف الفارس على الناي ورقص الحصان على عزفه وتوالت أحداث أخرى حتى أنقذ الفارس عشيقته فكافأه أهلها بترويجها له. مما يعني أن

الفتنازيا أسهمت بمكانتها في مجتمع البحث على الأقل في إنتاج طابع موسيقي لا يزال متداولاً حتى الآن.

3-4- الفتنازيا حقل هوياتي في مجتمع البحث:

تعكس الفتنازيا كممارسة ثقافية وكموروث تم تداوله عبر الأجيال مدى ارتباطها بروح الانتماء التي يتمتع بها مجتمع البحث من خلال تمسكه بها وإصراره على استمرارها رغم الصعوبات التي تواجه المربين والفرسان وحتى مسيري الجمعيات الثقافية -خاصة المادية والمناخية- مما يفسر عودة المجتمع للفتنازيا وتمسكهم وارتباطهم الروحي والثقافي بها والإصرار على إعادة إحيائها وتطويرها باعتبارها حقل هوياتي تاريخي للمجتمع.

4-4- الفتنازيا حقل للفنون الحرفية والصناعات التقليدية:

الجزء الكبير في الفتنازيا يعتمد على الحرفيين في كل قطع لباس الفرسان وكل مستلزمات ولباس الخيل، من خياطين وطرّازين وحدادين، باعتبار لباس الفارس طبعاً يخطه خياطون ونساجون، إلى جانب كل مستلزمات الخيل التي يتم إعدادها من طرف الحرفيين، فالفتنازيا لها سوقها الخاص في هذا المجال مما يعني الحفاظ على هذه الصناعات التقليدية وصونها من الزوال.

5-4- الفتنازيا حقل للعلاج التقليدي في مقابل الطب البيطري:

العلاج التقليدي للخيل يمثل أولوية تسبق العلاج البيطري كما أن الفرسان المتمكنين يجيدون تشخيص الأمراض التي تصيب الخيل وكذا الوصفات التي يعالجونها بها، فقد أكدوا أن هذه الوصفات فعالة منذ القديم وأنهم لا يعالجون خيولهم عند الطبيب البيطري إلا للضرورات القصوى.

5- الفتنازيا حقل فسيفسائي ثري:

تتنوع في حقل الفتنازيا الأنماط الثقافية والبنى التصورية للمجتمع وتتقاطع بين ديني مقدس، ثقافي موروث عن الأجداد، حرفي اقتصادي، تاريخي هوياتي، سياحي، مناسباتي للديني، الوطني والثقافي، وبين موروث ثقافي وحضاري لمجتمع البحث ثري وعميق.

6- الفتنازيا حقل ضخم لأنواع الخيل، سلالاتها، ألوانها وتسمياتها:

الخيول في مجتمع البحث أنواع وألوان وتسميات بعماني، ونكرر هنا نفس الملاحظة أن هذه المعطيات لم تكن متاحة لدى كل الفرسان بل يعرفها القلة منهم من العائلات التي توارث الفتنازيا من زمن بعيد والمتمرسين القدامى وهذا بالنسبة لمنطقة تبسة والمنطقة الحدودية سيدي راجح بمعتمدية الكاف.

7- التراث الفنتازي بين منطقة تبسة والكاف بتونس تراث بين ما هو مشترك وما هو غير مشترك:

تشترك منطقة تبسة خاصة بدوار 16 بالمعبر الحدودي راس لعيون بالكوف بتبسة ودوار الهرايسية بعين الزرقا وجبل بوجابر المشترك وبير مقدم والمنطقة الحدودية في جانب كبير منها بمعتمدية الكاف خاصة سيدي رايح وقلعة السنان وجبل بوجابر المشترك وجزء من القصرين في التراث الفنتازي في جوانب ولا تشترك في جوانب أخرى نذكرها:

1- لباس الفارس والخيال تراث فنتازي مشترك من جهة وغير مشترك من جهة أخرى: اللباس الخاص بالفارس بكل ما ذكرناه من قطع وتفصيل غير مشترك لأن لباس الفارس في منطقة تبسة يستعمل فيه قماش رصين مكتنز وثقيل مثل القطيفة في الشتاء وقماش من النوع الرفيع للصيف والتطريز أصيل وبأشكال مميزة هذا فضلا عن مستلزمات الخيل المطرزة والمزينة بأبهى الزينة، أما لباس الفارس والفرس في تونس فالأصل فيه أنه مخطط بقماش خفيف في الغالب شبيه بالحرير، غالبا ما يكون أبيض اللون أو أسود ومؤخرا أصبح الفرسان يرتدون ملابس شبيهة بلباس الفروسية في منطقة تبسة لأن فرسان منطقة الكاف أصبحوا في الآونة الأخيرة يخطون لباسهم في منطقة تبسة وما جاورها مثل سطيف وأم البواقي متأثرين بزينته واتقانه.

2- لعب الفنتازيا: يشترك فرسان مجتمع البحث بمنطقة تبسة مع فرسان مجتمع البحث بالمنطقة الحدودية التونسية محل الدراسة في ألعاب فنتازيا ويسمونهم بنفس التسميات ويمارسونها في الغالب بنفس الطريقة نذكرها: لعب القلاعي- اللعب الحربي - اللعب الفردي - لعب الطير - اللعب الثنائي- المشلية، وهذه الألعاب يستخدم فيها مجتمع البحث المذكور البنادق والسيوف بأعداد تتراوح من بندقية حتى 07 إلى 08 والسيوف أيضا، وكلاهما يلعب كل هذه الألعاب في ميدان اللعب الذي يتم إعداده على شكل طريق مستقيم يبلغ طوله من 1 ونصف كلم إلى 2 كلم، ويسمى المضمار والميدان في منطقة تبسة وفي منطقة الكاف يسمى المشاف، لكن هذا التراث غير مشترك فيما يخص لعب المداوري الذي يمارسه فرسان تونس وهو لعب يكون على شكل حلقي حيث يشكل الجمهور المتفرج حلقة أين يقفز الحصان ويدور بالفارس داخل هذه الحلقة حيث يقوم الفارس بألعاب خفة الجسد والقفز والزلزال على جانبي الحصان وهو يجري داخل تلك الدائرة، وفي نهاية اللعب يقوم الفارس بجعل الحصان يرقد على الأرض ثم يقوم بالجلوس على جسده أو يقف فوق رقبته وهذا يسمى بترقيد الخيل (عبد اللاوي، 2024) وهذا ما لا يمكن حدوثه في منطقة تبسة لأن الفارس يعتبر الخيل مباركة ومصدر خير لها وهي حيوان حساس تربطه علاقة قوية مع صاحبه كما يعتبر الفارس في منطقة تبسة أن وضعية الحصان والوقوف فوق جسده أو فوق رقبته هو إهانة للحصان (كميتي، المقابلة رقم 3، 2024) هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتبرون لعب الخفة والسيرك انتقاص من هبة الفارس ومكانته.

8- الفنتازيا بين الذكورة والانوثة في مجتمع البحث:

لا تشترك منطقة تبسة الجزائرية والكاف التونسية محل الدراسة في موضوع الذكورة والأنوثة وهنا نركز على الفانتازيا وهي الفروسية التقليدية، حيث يمارس الرجال فقط الفنتازيا في منطقة تبسة ولا يمكن بأي حال أن تمارسها النسوة باعتبارها ممارسة ذكورية رجالية باستثناء الفروسية الحديثة المتعلقة بالسباق والقفز على الحواجز والتي تشارك فيها الشابات من العائلات الغنية وذات السلطة والنفوذ ، لكن في مجتمع البحث بتونس تمارس الشابات والنسوة الفنتازيا مما يبرز نقطة لعدم الاشتراك في هذا التراث في مجتمع البحث.

خاتمة:

تلتقي الفنتازيا وتتقاطع كثرات مشترك بين منطقتي تبسة بالجزائر والكاف بتونس على الشريط الحدودي عند مجموعة نقاط أنتجها هذا المجال الحدودي بما يضمنه من إنتماء قبلي لكلهما متجانس في الغالب، كما أسهمت علاقات القرب الجغرافي و الاحتكاك المستمر على مدار السنة بين فرسان مجتمع البحث خلال التظاهرات الثقافية أين تحولت الفنتازيا لحقل تراثي غالبا ما يكون مشتركا على عدة مستويات، أبرزها حقل المخيال الشعبي وما يضمنه من عناصر التراث اللامادي، هذا فضلا عن الطب الشعبي التقليدي الخاص بالحيوانات الذي يظهر مشتركا لحد التطابق سواء من حيث البني التصورية لأنواع أمراض الخيول وأعراضها وللممارسات العلاجية التقليدية لهذه الأمراض، بالإضافة لحقل الصناعات والفنون الحرفية التقليدية المتعلقة بمستلزمات الفنتازيا كسوق اقتصادي ثقافي يسهم في صون هذا التراث وتحقيق استمراره، كما يعبر عن حقل تاريخي هوياتي مشبع بخصوصيات المجتمع وسيروراته التاريخية، هذه الخصوصيات التي أسهمت بدورها في وجود اختلافات بين منطقتي تبسة والكاف خاصة على مستوى لباس الفارس ومستلزمات الفروسية من حيث القماش والتطريز والقطع إلى جانب الاختلاف الجوهري أو بالأحرى التمايز بين المنطقتين في أنواع لعب الفنتازيا أين يشتركان في أغلب الألعاب لكن منطقة الكاف تنحوي منحى مخالف بخصوص لعب المداوري، هذا فضلا عن كون التراث الفنتازي يشكل حقلا جنوسيا تمارس فيه الفروسية التقليدية على أساس النوع، أين تمارس المرأة بمنطقة الكاف الفنتازيا بدءا من طفولتها عكس منطقة تبسة حيث لا تمارس المرأة فيه الفنتازيا ولا يُسَمَّحُ لها بالحضور للإستمتاع بلعب الفرسان مما يعني أن فضاء الفنتازيا جنوسي ذكوري بامتياز.

قائمة المصادر والمراجع:

- بن ني، م. (1982). *مشكلات الحضارة: شروط النهضة* (ت. عبد الصبور شاهين). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- بوطوقفة، م. (2017). *ظاهرة الفانتازيا في الجزائر: تاريخها وأسسها الحضارية والثقافية والفنية - مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية بولاية تيارت* [أطروحة دكتوراه، جامعة مستغانم].
- بونت، ب.، & إيزار، م. (2006). *معجم الإنثولوجيا والأنثروبولوجيا* (ت. مصباح الصمد). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- الجوهري، م.، وآخرون. (2006). *الأنثروبولوجيا الاجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج*. دار المعرفة الجامعية.
- جيامبيترو، ج.، & جوبو، ج. (2014). *إجراء البحث الإنثوغرافي* (ت. محمد رشدي). المركز القومي للترجمة.
- الخطيب، م. (2008). *الأنثروبولوجيا الثقافية*. دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة.
- الرشدان، ع. (1999). *علم اجتماع التربية*. دار الشروق للنشر والتوزيع.
- الشماس، ع. (2004). *مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)*. منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- عبيدات، م.، أبو نصار، م.، & مبيضين، ع. (1999). *منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات* (ط2). دار وائل للطباعة والنشر.
- عثمان، س. (2013). *تكامل المنهجية عند أحمد أبو زيد*. مجلة العربي، العدد 659، وزارة الإعلام.
- فهم، ح. (1986). *قصة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ علم الإنسان*. المجلس الوطني للفنون والآداب.
- قسومة، ج.، & شريط، ك. (1998). *الصناعات التقليدية الجزائرية*. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
- لونيسي، م. ص. (2007). *الأوراس: تاريخ وثقافة*. مطبعة الطباعة العصرية.
- منديب، ع. (2010). *الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب*. إفريقيا الشرق.
- نصر، ث. (1998). *تاريخ أزياء الشعوب*. عالم الكتب.
- هس بيبر، ش.، & ليفي، ب. (2001). *البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية* (ت. هناء الجوهري). المركز القومي للترجمة.
- هولكرانس، إ. (1972). *قاموس مصطلحات الإنثولوجيا والفولكلور* (ت. محمد الجوهري وحسن الشامي). الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- وصفي، ع. (1971). *الأنثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديريون الأمريكية*. دار النهضة العربية.

Gsell, S. (1927). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* (Vol. 5). Librairie Hachette.

In English:

Al-Jawhari, M., et al. (2006). *Social anthropology: Issues of subject and method*. Dar Al-Maaref Al-Jameiyah.

Al-Khatib, M. (2008). *Cultural anthropology*. Dar Alaa Al-Din for Publishing and Translation.

Al-Rashdan, A. (1999). *Sociology of education*. Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution.

Al-Shammas, I. (2004). *Introduction to anthropology*. Arab Writers Union.

Ben Nabi, M. (1982). *The problems of civilization: The conditions of revival* (Trans. A. Al-Shahin). Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.

Boutagouga, M. (2017). *The phenomenon of fantasia in Algeria: Its historical, cultural, and artistic foundations — A socio-anthropological approach in the Wilaya of Tiaret* [Doctoral dissertation, University of Mostaganem].

Faheem, H. (1986). *The story of anthropology: Chapters in the history of the science of man*. National Council for Arts and Letters.

Giampietro, G., & Giobo, J. (2014). *Conducting ethnographic research* (Trans. M. Roshdy). National Center for Translation.

Gsell, S. (1927). *Ancient history of North Africa* (Vol. 5). Librairie Hachette.

Hesse-Biber, S., & Leavy, P. (2001). *Qualitative research in the social sciences* (Trans. H. Al-Jawhari). National Center for Translation.

Holcktrans, E. (1972). *Dictionary of ethnology and folklore terms* (Trans. M. Al-Jawhari & H. Al-Shami). General Authority for Cultural Palaces.

Kassouma, J., & Cheriati, K. (1998). *Traditional Algerian crafts*. National Agency for Communication, Publishing, and Advertising.

Lounissi, M. S. (2007). *The Aurès: History and culture*. Modern Printing Press.

Mandib, A. (2010). *Religion and society: A sociological study of religiosity in Morocco*. Afrique Orient.

Nasr, S. (n.d.). *The history of the costumes of nations*. Alam Al-Kutub.

- Obeidat, M., Abu Nassar, M., & Mubaideen, A. (1999). *Scientific research methodology: Principles, stages, and applications* (2nd ed.). Dar Wael for Printing and Publishing.
- Othman, S. (2013). Methodological integration in the works of Ahmed Abu Zaid. *Al-Arabi Magazine*, (659), Ministry of Information.
- Poutte, P., & Izard, M. (2006). *Dictionary of ethnology and anthropology* (Trans. M. Al-Samad). University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution.
- Wasfi, A. (n.d.). *Cultural anthropology with a field study of the Lebanese Islamic community in Dearborn, USA*. Dar Al-Nahda Al-Arabiya.